

## المقالات:

التربية الإعلامية في العصر الرقمي:  
البحث عن هوية في زمن افتراضي

أ.د. علي أسعد وطفة

أستاذ بقسم أصول التربية - كلية التربية - جامعة الكويت

يصف الكاتب الفرنسي مارك أوجيه في كتابه «حرب السلام» غزو الصور الذي يداهم الكون بقوله « إنه غزو يشنه نمط جديد من الخيال الذي يعصف بالحياة الاجتماعية ويصيبها بالعدوى ويخترقها إلى حد يجعلنا نشك فيها ، في واقعها وفي معناها وفي المقولات الخاصة بالذات والآخر التي تتولى تكوينها وتعريفها»

## المقدمة:

يتطور كوكبنا في فضاءات الثورة الرقمية الرابعة ليصبح كوكباً عبقرياً سيبرنتياً فائق الذكاء، فعلى امتداد هذا الكوكب تتشابك الأدمغة وتتخاضب العقول، وتتفاعل الإرادات البشرية، وتتصافر الخبرات والمعارف الإنسانية، وهذا كله يبشر اليوم بولادة وعي إنساني إبداعي فارق في التاريخ، إنه نوع من الوعي الجمعي المتشكل من جماع الأدمغة ومن تصافر العقول وتخاضب الإبداعات البشرية جميعها فوق هذا الكوكب، ليتجلى في النهاية على صورة عبقرية إنسانية خارقة ليس لها مثيل ولن يكون لها نظير في التاريخ الإنساني برمته. وفي ضوء هذا التطور الفائق في تاريخ الإنسانية يجب على التربية أن تحطم أدواتها القديمة وتهجر مناهجها التقليدية وأن تحطم تصوراتها الحبيسة في دهاليز الماضي لتنتقل نحو عصر جديد بطاقة جديدة تمكن المتعلمين من التفاعل الخلاق مع معطيات الثورة الصناعية الرابعة بكل مستجداتها التي تكاد أن تكون أسطورية في ميدان التجديد والتفجر العبقري الذي يتميز بطابع الديمومة والاستمرار. وفي دائرة هذا المد الحضاري السيبرنتي الجديد ينظر الباحثون اليوم إلى التربية الإعلامية بوصفها المنصة الحقيقية لانطلاق التعليم في المستقبل الرقمي لأنها تمتلك القدرة على التفاعل العلمي مع الفضاءات الإلكترونية والرقمية الجديدة. فالتربية الإعلامية بوصفها وعياً متطوراً بمعطيات الثورات الرقمية يمكنها أن تشكل منصة الانطلاق التربوي نحو المستقبل الذي يرتهن فيه حضور الإنسان بقدرته على تطويع المستقبل الذي ينتطلب توليداً مستمراً في العبقريات الإنسانية الجديدة.

يشكل مفهوم التربية الإعلامية واحداً من المفاهيم المعقدة المثيرة للجدل، ويتميز هذا المفهوم بطابعه الشمولي وسمته التعددية وتغايره المستمر في فضاء إعلامي يفيض بالتغير والتجدد المستمرين، فالتربية الإعلامية مفهوم حديث النشأة لم يستطع حتى اللحظة أن يتبلور بوضوح كبير، ولم يحظ بإجماع المفكرين حول مكوناته الفكرية والنظرية، وما زال هذا المفهوم بطابعه الشمولي المتغير يستقطب أعداداً كبيراً من المحاولات العلمية التي تسعى إلى تحديد علمي واضح لمكوناته وأبعاده التربوية الإعلامية.

فالتربية الإعلامية (L'éducation aux médias) تشكل مسار تقاطع حيوي بين مختلف الاتجاهات النقدية ضمن حقل التربية (Education) والاتصال (communication) في آن واحد.

ومن صلب هذا التقاطع تأخذ التربية الإعلامية مساراً علمياً يتسم بالطابع النقدي في مختلف توجهاتها وممارساتها التربوية، حيث تستمد طاقتها الفكرية من مناهل علمية وفكرية لعلوم شتى متنوعة في اختصاصاتها، ومتعددة في مناهجها وأدواتها ومفاهيمها، وضمن هذا المسار من التفاعل والتخاصب مع هذه العلوم ترتسم الحدود النظرية للتربية الإعلامية وتتحدد تخومها الفكرية التي تميزها بوصفها علماً بينياً يتسم بالأصالة والتميز والخصوصية. (Landry et Basque, 2015, 48).

ومثل هذا التشاكل والتغاير والتعقيد في مفهوم التربية الإعلامية يتطلب جهداً علمياً نشطاً يهدف إلى تعريفها وتوصيفها والعمل على تحديد معالمها وخصائصها الأساسية، ومن ثم تحديد سماتها المعرفية، ورسم المراحل التي تخطى عملية تطورها في سياقات زمنية وتاريخية محددة، ومن ثم العمل على تحري مختلف القضايا والإشكاليات التي يطرحها مفهوم التربية الإعلامية والمسائل التي يعالجها. وتشكل مقالتنا هذه محاولة متواضعة ترسم نفسها في هذا المنحى العلمي في مجال تعريف هذا المفهوم وتحولاته في العصر الرقمي (Landry, N et Basque, J., 2015, 201).

## 2 - حقل التربية الإعلامية:

تشكل التربية الإعلامية حقلاً علمياً حديث النشأة والتكوين، يبحث عن هويته في إطار تشاكلة مع الحقول العلمية التي تجانسه وتتقاطع معه في كثير من القضايا وتشاكل معه في كثير من التخوم. وما زال الباحثون في مجالي الإعلام والتربية منغمكين في عملية تحديد هذا الحقل وتعريفه ضمن الحدود والتخوم التي يشغلها في وظائفه ومفاهيمه وممارساته، وتأخذ هذه الجهود العلمية الرامية إلى تحديد هذا الحقل ورسم أبعاده المختلفة صورة محاولات علمية، نظرية مستمرة، وتيارات فكرية ساعية إلى مواكبة مستجدات هذا الحقل العلمي والخوض في قضايا وتحدياته الإشكالية. فالتربية الإعلامية حقل علمي نشط في مقارنته لعدد كبير من القضايا والإشكاليات التي تتحرك في فضاء العلاقة بين حقلين علميين متميزين هما: التربية بعلمها وفنونها، والإعلام بهيئته الكونية وقضاياه الوجودية. ومثل هذا التقاطع بين العلمين يضيف طابع التعقيد على المهمات العلمية التي تؤديها التربية الإعلامية بوصفها علماً، إذ يتطلب الأمر خوضاً في مختلف قضايا التربية - لا بل في أكثر هذه القضايا جوهرية وأهمية - وذلك في نسق علاقة هذه القضايا بالإعلام الرقمي الجديد الذي يعيش حالة ثورية رقمية تتميز بطابع الديمومة والاستمرار. وفي معترك هذا التفاعل الخلاق بين علمين عملاقين (التربية والإعلام) يتوجب على التربية الإعلامية أن تتحمل مسؤوليات جسام تتمثل في عدد كبير جداً من الاستحقاقات العلمية الواسعة التي تبدأ عملياً بتثقيف الناشئة والأطفال، وتمكينهم من التفكير النقدي في مختلف أوجه العلاقة بين الإنسان والإعلام على وجه الإطلاق، كما يتوجب عليها أن تتناول قضايا حيوية وجودية في المجتمع، من مثل: قضايا التعصب، والتمييز بين الجنسين، والجنسية المثلية، والعنف الإعلامي، والنزعة المادية، ومختلف القضايا الاجتماعية السياسية التي تتصف بدرجة عالية من الصعوبة والتعقيد في هذا العصر المتفجر بالقضايا الإشكالية والمسائل الوجودية.

ونظراً لهذا التعقيد الكبير والطابع الشمولي لهذا الحقل العلمي فإننا ترسيم الحدود الفاصلة بين علم التربية الإعلامية والعلوم الأخرى صعب المنال، ويضاف إلى ذلك أن صورة هذا العلم الجديد تختلف باختلاف الباحثين وتتنوع بتنوع مذاهبهم واتجاهاتهم ومشاربهم، وهي ضمن هذا التعقيد والتشاكل ما زالت بقضاياها وممارساتها وطروحاتها تشكل موضوعاً ثراً للحوار والبحث والجدل، وتحت تأثير هذا الجدل تنوعت الاتجاهات في تعريف هذا الحقل العلمي وفقاً لمعايير مختلفة في منطلقاتها وإجراءاتها، فهناك اتجاهات تحاول تحديد التربية الإعلامية وفقاً للأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، وأخرى تتناولها من منطلق الوظائف التي تقوم بها، وبعض آخر منها، يتناولها من خلال المبادئ والمناهج التي تنطلق منها (Landry et Basque, 2015, 50).

إن الطريقة المفضلة لمقاربة التربية الإعلامية ربما قد تكون في سرد منظم للجوانب التي تؤديها، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن التربية الإعلامية ليست مجرد تأهيل إعلامي يهدف إلى تنمية المهارات في مجال استخدام التكنولوجيا الإعلامية، كما أنها ليست مجرد تربية بوسائل الإعلام التي تركز على معرفة لا تتصل بموضوعها أو بأهدافها الأساسية، وهي أيضاً ليست تعليماً حول وسائل الإعلام وما تنطوي عليه هذه الوسائل من تنوعات ومزايا فحسب، بل هي فوق ذلك كله منظومة علمية تربوية تركز على التحليل والفهم والتأمل النقدي للمضامين والرسائل الإعلامية، وهي علم يتناول السياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية لوسائل الإعلام ضمن المسارات الذي أنتجت فيها وصممت ووفق المنهجيات التي اعتمدت في إرسالها والطريقة التي تمّ فيها استقبالها من قبل الجمهور الإعلامي. فالتربية الإعلامية هي بيداغوجيا متطورة تبحث في عملية التفاعل النشط بين مختلف جوانب العلاقة بين الرسالة الإعلامية والجمهور التربوي الإعلامي، وهي تهدف في نهاية الأمر إلى تطوير المهارات والكفاءات والخبرات والمعارف المكتسبة ووضعها في دائرة الفهم النقدي المتطور للمتعلمين لتمكينهم من الخوض الآمن والفعال في الوسط الإعلامي المتدفق بالدلالات والمعاني والصور (Macdonald, 2008)..

تركز التربية الإعلامية -بوصفها حقلاً علمياً- على أهمية القضايا الحيوية في المجتمع كالتربية على المواطنة والمواطنة الرقمية، وتعزيز الروابط الاجتماعية بين الأفراد، وتأكيد أهمية التفكير النقدي، وبناء القدرة على التأمل العقلي في المضامين الإعلامية بما تنطوي عليه من تضاريس وحدود رمزية. والتربية الإعلامية بوصفها حقلاً علمياً تشكل نقطة تقاطع بين علمين كما سبقت الإشارة: علم الاتصال والمعلوماتية من جهة، وعلم التربية وأصولها من جهة أخرى. وضمن هذه العلاقة وفي مداراتها تحاول التربية الإعلامية أن تقارب المتعلم بوصفه ذاتاً عارفة مستقلة، وبوصفه قوة فعالة نشطة تمارس دورها المؤثر أيضاً في توجيه العلاقة الإعلامية نحو آفاق عقلانية.

فالتربية الإعلامية تشكل في إطار هذا التصور مشروعاً تربوياً يهدف إلى تحقيق شخصية المتعلم وتنمية علاقاته بالمجتمع وتمكينه من النقد الاجتماعي ومساعدته على التحرر من طيف الامتثال الاجتماعي الأصم للجماعات والهيئات التي تسود في المجتمع. ومن هذا المنطلق يمكن أن نصف التربية الإعلامية بأنها تربية مكافحة نضالية وملتزمة اجتماعياً (Landry et Basque, 2015, 50). ومما لا شك فيه أنها وبوصفها مشروعاً تربوياً فإنها تسعى إلى تعزيز الشعور بالمواطنة، وذلك عبر تنمية الفكر النقدي في مجال الوعي السياسي. وهذا ما يعبر عنه جاك غونيه Jacques Gonnet بقوله إن التربية الإعلامية «مبادرة استثنائية للممارسة الديمقراطية» ترسخ ثقافة قائمة على المحاجة النقدية وتثري عوامل الاختلاف الخلاق في أعماق الحياة الثقافية للمجتمع (Jacques Gonnet 2001, P.6)، وهذا يضعنا على محك التأمل النقدي في وظيفة المدرسة من منظور أن التربية الإعلامية تؤدي الوظائف الحيوية التي كان يفترض بالمدرسة أن تؤديها في مجال بناء الوعي الديمقراطي منذ زمن بعيد.

لقد أكد وزراء التربية الأوروبيون في اجتماعهم في ندوة المجلس الأوروبي التي عقدت في عام 1989 على أهمية التربية الإعلامية ودورها في ترسيخ الحياة الديمقراطية في أوروبا، وقد جاء في توصيات هذه الندوة: " أن التربية الإعلامية يجب أن تؤدي دوراً ديمقراطياً تحريراً، وأن تشجع المتعلمين وتؤهلهم لممارسة دورهم كمواطنين في مجتمعات ديمقراطية، كما يتوجب عليها أن تساعد على تشكيل وعي سياسي ديمقراطي لدى الناشئة والشباب، كما يترتب عليها أيضاً أن تكسب المتعلمين قدرة على تحقيق الاستقلال الذاتي والبرهنة على امتلاكهم للروح النقدية في مواجهة المضامين الإعلامية الخفية الثاوية في مختلف النصوص والرسائل الإعلامية لمختلف وسائل الإعلام " (Conseil de l'Europe, 1989).

ومن هذا المنطلق فإن التربية الإعلامية علم يوقظ وعي الطلاب واهتمامهم بمختلف القضايا والرهانات التي تتعلق بوسائل الإعلام، كما أنها تنمي فيهم مهارات معرفية وما بعد المعرفية، وتستنهض فيهم مهارات عملية تساعدهم في عملية الاندماج الاجتماعي والتواصل الإنساني ضمن توجهات ديمقراطية. ومن هذا المنطلق فإن التربية الإعلامية تأخذ موقعها ضمن ثلاثة: المدرسة والإعلام والديمقراطية، لتشكل نقطة تقاطع حيوية وإستراتيجية بين هذه المحاور الاجتماعية الثلاثة. وتأسيساً على هذه الوضعية ينبغي على التربية الإعلامية أن تواجه مجموعتين كبيرتين من الإشكاليات: تتمثل المجموعة الأولى في تطوير قدرة المدرسة على التكيف مع التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية العاصفة، وذلك من خلال مناهجها وطرائق التعليم فيها، وهذا يتطلب منها أن تقوم وفي الوقت نفسه على تأدية التربية الإعلامية بشقيها: التربية على الإعلام من جهة والتربية بواسطة الإعلام من جهة أخرى. وتتمثل المجموعة الثانية في تمكين المدرسة من القدرة على تحضير الطلاب وإعدادهم لمواجهة العالم بصورته الإعلامية، وتمكينهم من التكيف ضمن فضاء اجتماعي ثقافي مثقل بأعنف صور التعقيد في دورة متسارعة من التغيير الاجتماعي التي تعترى مختلف مظاهر الوجود الإنساني.

### 3 - الدمج المدرسي للتربية الإعلامية:

تمارس التربية الإعلامية وظيفتها غالباً في الفضاء المدرسي الذي يشكل المجال الحيوي للتفاعل التربوي بين العائلات والمربين والتلاميذ. وتكرس التربية الإعلامية نفسها غالباً لتأهيل الأطفال والمراهقين بالدرجة الأولى، وهذا لا يعني أبداً أنها تستثني الكبار والراشدين، وفي هذا الفضاء المدرسي تمارس التربية الإعلامية عدة فعاليات تربوية لمقاربة مختلف عوامل التفاعل بين وسائل الإعلام والأطفال كما تتناول التأثير الذي تمارسه هذه الوسائل وتضع تحت المجهر مختلف نشاطاتها وفعاليتها ووظائفها، كما تقارب مختلف عمليات الإنتاج الإعلامي (النصوص والبرامج والمضامين) بالدراسة والتحليل، ويشمل هذا مختلف الوسائط الإعلامية (السينما، التلفزيون، وسائل الإعلام المطبوعة، الإذاعة، إلخ)؛ كما تتناول عمليات الإنتاج والنشر التي تميزها، وهذا يشمل أيضاً مختلف الصيغ الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي ترتبط بالعملية الإعلامية في الوسط المدرسي أو التربوي بعمامة. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن التربية الإعلامية غالباً ما تتناول القضايا المطروحة أعلاه بصورة خاصة، ومركزة في مجال الإعلام السمعي البصري (médiyas audiovisuels) ويشمل ذلك: (Landry et Basque, 2015, 51):

- الدور الذي تشغله هذه الوسائل في مجال الحياة العامة، وما تثيره من جدل اجتماعي في المجتمع.
- دور الإعلام في نشر العنف والجنس الإباحي.
- التمييز بين الجنسين والعنصرية وتقديم الأقليات ضمن صور نمطية عبر المضامين الإعلامية.
- تأثير الدعاية الإعلانية ولاسيما في نفوس الأطفال وسلوكهم.
- التناقضات والمفارقات التي تعترى المشهد الإعلامي في مختلف مضامينه وتشكلاته.

وتتحرك هذه المشكلات والتحديات في بيئة إعلامية يأخذ فيها التغيير والتجدد طابع الاستمرار. كما أن الانتشار الهائل للشبكات الرقمية، وتطور تقنيات الوسائط الرقمية، سمح لمختلف الوسائط الإعلامية بالحضور المكثف والتقارب في فضاء إعلامي واحد وبطريقة تمكن المنتجين للإعلام بإنتاج وتوزيع محتوى النصوص الإعلامية بطريقة متسارعة وبسهولة كبيرة وبتكاليف زهيدة. وقد سمح هذا التقدم الهائل في التقانات الإعلامية والوسائط الرقمية بنمو عدد كبير من المشكلات الخطرة التي تتمثل في التحديات الآتية: (Landry et Basque, 2015, 51).

- استلاب الهوية.
- اختراق خصوصية الناس.
- الاعتداء على الحرمات الشخصية.
- قرصنة المعلومات.
- التحرش والتهتك الجنسي.
- الابتزاز المالي.
- التشهير بالناس والإساءة إليهم عبر نشر صورهم الشخصية والجنسية ومختلف المظاهر المخجلة والمهينة،
- البلطجة الإلكترونية.
- التهيب والتخويف.
- اقتناص المعلومات والبيانات الخاصة للأشخاص دون علمهم أو درايتهم.
- انتهاك حقوق الملكية الفكرية وذلك عن طرق عرض الصور والمشاهد والمضامين الخاصة بمؤسسات وأشخاص محددين.
- الانتهاكات الأخلاقية التي تتمثل في نشر المواد الإباحية والعنف وتأجيج الكراهية.
- نشر وتعزيز الاتجاهات العنصرية كالعنصرية والدينية والعرقية.

وتبين الدراسات الجارية اليوم أن التطور المذهل في وسائل الإعلام وتكنولوجيات الوسائط الرقمية قد أدى إلى انتشار الجرائم الإعلامية بشكل واسع، وقد بدأ الناس اليوم يشعرون بالتهديد الحقيقي للإعلام وتقاناته المتقدمة في مختلف مظاهر وجودهم وحياتهم، وقد أدت هذه الانتهاكات الإعلامية إلى ولادة الحاجة الحقيقية إلى التربية الإعلامية، وضرورة تثقيف المواطنين إعلامياً منذ سن مبكرة بشأن مخاطر الإعلام وتحدياته الرقمية. (Hartley, 2010).

#### 4 - الاتجاهات التربوية في مجال التربية الإعلامية:

على مدى ثلاثة عقود زمنية متوالية ما زال يُنظر إلى التربية الإعلامية بوصفها حقلاً علمياً يهدف بشكل رئيس إلى تمكين المتعلمين من تطوير ثقتهم الكافية بأنفسهم وتنمية قدرتهم على ممارسة الأحكام النقدية في النصوص الإعلامية التي سيواجهونها في المستقبل، ومن الواضح أن هذا الاستقلال النقدي المطلوب إزاء (الميديا) ومضامينها الإعلامية يتجانس إلى حد كبير مع مطالب فلسفة جون ديوي (John Dewey) ويلي طموحات باولو فرايري (Paulo Freire) في مراميهما النقدية. فجون ديوي كان يرى بأن التربية لا يمكنها أن تنفصل عن مفاهيم المواطنة والديمقراطية، وذلك لأنها تسجل نفسها في عمق التجربة الحية في المجتمع الإنساني، وهي ضمن هذا التوجه تفيض بالتجارب وتغتنى بالحوار وتفتح على الطول في مجال الحياة الاجتماعية، وهي في نهاية الأمر تسعى إلى تحرير الذكاء الإنساني وتطويره، وهنا تكمن وظيفتها الأساسية، إذ تعمل على تحقيق الاستقلال الذاتي للنقدي للمتعلم، وهذا يعني أنها تشارك في عملية تنمية ذكائه وبناء قدرته على مواجهة العالم الخارجي والتكيف مع معطياته، Landry, N et Basque, (J, 2015).

ويؤكد المفكر البرازيلي باولو فرايري (Paulo Freire) على أهمية التربية الحرة، ويرى أن التربية يجب أن تكون تربية للحرية، وتكمن غايتها في تحرير الفرد والمجتمع في آن واحد، وفي هذه

التربية يتفاعل المعلمون والمتعلمون بوصفهم شركاء متكافئين في عملية البحث والاستكشاف والتعلم المشترك، والتربية في هذا التصور تعمل على توليد الوعي النقدي ضد كل أشكال الإكراه والتسلط، من أجل تحقيق شروط وجود وحياء إنسانية حرة وكرامة. والتربية الحرة كما يراها فرايري تنظر إلى المتعلم بوصفه غاية، أي بوصفه كائناً حراً يعي نفسه ومصالحه، ويتمكن من التعامل مع المشكلات التي تواجهه ومن السيطرة العقلانية على الوسط الذي يعيش فيه. وتعمل هذه التربية أيضاً على تحرير المتعلمين من أفكار الهيمنة التي يفرضها القاهرون بتأييد وسائل الإعلام الجماهيرية، وفي ظل هذه التربية الحرة التي يريدها فرايري يتمكن المتعلمون أنفسهم من تدمير أساطير الاستبداد والهيمنة وتبديد الأوهام الأيديولوجية التي تقوم عليها. (Landry et Basque, 2015,52).

ومما لا شك فيه أن فرايري وتلامذته كانوا يمثلون الاتجاه النقدي في الفلسفة التربوية، واستطاعوا التأثير بشكل كبير في مجال التفكير الإعلامي ولاسيما في مجال التربية الإعلامية في العصر الحديث. ومن الواضح أن الاتجاهات التربوية الجديدة الحرة تركز على أهمية مشاركة المتعلمين في عملية التعلم، وعلى أهمية العلاقات التربوية الديمقراطية بين المتعلمين والمعلمين، كما تؤكد على أهمية منهجية التعلم عن طريق حل المشكلات المجسدة، وتهدف إلى تمكين المتعلمين من القدرة على التفكير والسلوك النقديين، وهي في هذا السياق تمثل اتجاهات تربوية نقدية تكاد تحظى بإجماع المفكرين النقديين.

وفي هذا الصدد يرى ريني هوبز (Renee Hobbs, 2011: p26) أن الممارسات البيداغوجية للتربية الإعلامية يجب أن تتمركز حول المتعلمين وتوجههم نحو الممارسة، وذلك من أجل أن تساعد الطلاب على فهم العمليات الإعلامية وما تنطوي عليه بطريقة نقدية. وانطلاقاً من هذه الرؤية تتوجب الاستفادة من إستراتيجيات التفكيك والتشفير في التعامل مع النصوص الإعلامية وفي فهم عملية الإنتاج الإعلامي، كما يترتب على المتعلمين استخدام القدرة على توظيف منهجية العصف الذهني ومقارنة الأفكار في فهم وتحليل مختلف النصوص الإعلامية التلفزيونية، ولا سيما هذه التي تتعلق بالمواقع الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي، أو حتى بمختلف الفيديوهات التي تعرض في مختلف التطبيقات والأدوات الإعلامية. والهدف المركزي للتربية الإعلامية وفقاً لهذا التصور ليس في عملية تشكيل كفاءات إعلامية مهنية، بل في تنمية القدرات النقدية للمتعلمين ومساعدتهم على توظيفها ليس في داخل الصف أو الفصل فحسب، بل في مختلف مجالات الحياة العائلية والاجتماعية، وهذا يؤكد على أن التربية الإعلامية تقوم على أسس نقدية، وهي ترسيخ غير مباشر للتربية الإنسانية الحرة (Renee Hobbs, 2011: p26).

فالمناهج التعليمية التقليدية التي تفرض نفسها في المدارس والمؤسسات التعليمية الرسمية لا تقوم على مبدأ المشاركة الفعالة للتلاميذ في النشاطات التربوية، ويرى المراقبون التربويون في هذا المقام أن هذه المناهج غير قادرة على تحقيق الأهداف التربوية للتربية الإعلامية بل تعارضها وتناكفها. فالتربية الإعلامية تقوم في جوهرها بكل ما تنطوي عليه من أهداف وتاريخ وأدوار على مبدأ التفكير النقدي، والمشاركة الفعالة للمتعلمين في العملية التربوية. وهذا الأمر يتطلب نمطاً من النشاطات التربوية القائمة على التحري والتساؤل والإنتاج في المجال الإعلامي (Chomsky, 2012).

ومن الواضح أن التربية الإعلامية تهدف جوهرياً إلى تنمية التفكير النقدي لدى المتعلمين، كما تمكنهم من القدرة على تنويع قدرتهم على التفكير والتأمل المتبصر في المعلومات، واستخدام المنهجيات الفعالة للقيام بعملية التبصر والقدرح الذهني في مختلف مظاهر وعوامل ومضامين العملية الإعلامية، كما تهدف في الوقت نفسه إلى تمكين المتعلم من الاستقلال النقدي الذاتي الذي يسمح له أن يفكر بنفسه ولنفسه وأن يكون قادراً على التصرف واتخاذ القرار بصورة مستقلة وموضوعية بناء على قناعاته الذاتية وإحساسه العميق بالقدرة والاستقلال.

وهذا النوع من التفكير النقدي الذي تحض عليه التربية الإعلامية يرتبط جوهرياً بالممارسة الديمقراطية للمواطنة، كما يمكن المتعلمين من استكشاف الديناميات والعمليات التي توجد في أصل الاستبداد السياسي والثقافي. والتعليم الإعلامي في النهاية يشكل مشروعاً يهدف إلى تطوير استقلالية ذاتية للمتعلّم في تفاعله مع وسائل الإعلام بما تبثه من محتويات ومضامين.

ويمكن القول بصيغة أخرى إن التفكير النقدي هو العملية التي تمكن شخصاً ما من القدرة على إصدار أحكام واضحة وصريحة بصورة ذاتية حرة ومستقلة، ولاسيما خلال تفاعله مع الوسط الإعلامي الذي يعيش فيه، وبما يشتمل عليه هذا الوسط من معلومات وبيانات تبثها وسائل الإعلام. ومن الواضح جداً أن تنمية التفكير النقدي يرتبط بصورة عامة بعملية النقد الإعلامي التي تتمثل في عملية وضع الحالة الإعلامية ضمن إطار إشكالي، ولاسيما فيما يتعلق بنأثيراتها ومضامينها. ومن هذا المنطلق فإن تبني الاتجاه النقدي في الإعلام يعني العمل على تطوير الفكر النقدي. وباختصار يمكن القول إن التربية الإعلامية النقدية تعمل على بناء القدرات الضرورية والتأهيل المناسب للتفكير النقدي بدرجة أكبر من العمل على نقد وسائل الإعلام ذاتها، وهنا تبدو ضرورة التمييز بين نقد وسائل الإعلام وبين عملية بناء التفكير النقدي الذي يشكل هدفاً تربوياً في مجال التربية الإعلامية.

##### 5 - من التثقيف الإعلامي إلى مفهوم التربية الإعلامية:

ويمكننا تعريف التربية الإعلامية النقدية في هذا السياق بأنها المنهجية التربوية الشاملة التي تمكن الطلاب والناشئة من تنمية ذكائهم بصورة نشطة وفعالة، والنهوض بقدرتهم على التفكير النقدي المستقل، وتنمية مختلف القدرات العقلية والذهنية التي تمكنهم من اتخاذ القرارات المناسبة وفي الوقت المناسب فيما يجب عليهم أن يفعلوه ويعتقدوه، كما تمكنهم من التمييز بين الحقائق الواقعية وبين القيم والعواطف والمشاعر الكامنة في الرسالة الإعلامية، وهي تقوم أيضاً بتمكين المتعلمين من تحديد المصادر الإعلامية والتمييز بينها وفقاً لدرجة قوتها وموثوقيتها، وهذا يشمل أيضاً تمكينهم من التعرف على مواطن الضعف والقوة في هذه المصادر وفي مضامينها الإعلامية، والكشف عن مدى حضور الجرعة المنطقية والعقلانية فيها، والمهم في هذا كله أن هذه التربية النقدية تمكن المتعلم من رفض الأحكام المسبقة والأفكار النمطية التي تفتقر إلى المنطق والحس الأخلاقي، كما تساعده أيضاً على استكشاف المضامين الأيديولوجية الخفية والمعلنة الكامنة والظاهرة في المضامين الإعلامية المختلفة (Landry et Basque, 2015,53).

التربية الإعلامية في جوهرها مصطلح مركب من كلمتين هما: التربية والإعلام، وهو ترجمة للكلمة الإنجليزية Media Education ويعني التربية الإعلامية أو التعليم الإعلامي، وهناك من يرى أنها ترجمة للمصطلح الإنجليزي Media Literacy وهو ما يسمى بمحو الأمية الإعلامية (العبد الكريم، راشد بن حسين، 2007، 3)

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى التداخل الكبير بين مفهوم التربية الإعلامية (Media education) ومفهوم محو الأمية الإعلامية (Media Literacy) (نفضل استخدام تعبير التثقيف الإعلامي بدلاً من محو الأمية الإعلامية) وهو مفهوم فرض نفسه كثيراً في التداول الإعلامي والتربوي ولاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية ومن الشائع أن يستخدم أحدهما في مكان الآخر ويعبر عنه. ويعبر مفهوم التثقيف الإعلامي (Media Literacy) جوهرياً ضمن سياقه الاشتقاقي الأصلي عن تحصيل المعارف والمهارات التي تمكن الفرد من القراءة والكتابة؛ ولكن هذا المفهوم في المجال الإعلامي يحمل أبعاداً أشمل من القراءة والكتابة، إذ يشمل قدرة الفرد على فهم النص وتحليله وتفكيكه رمزياً، كما يشير أيضاً إلى قدرة الفرد على امتلاك اللغة التي يتحدث بها كتابة ومشاهدة. وهذه المهارات تعدّ ضرورية جداً من أجل عملية اندماج الفرد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ويمكن القول في هذا السياق إن محو الأمية الإعلامية يمثل تطبيقاً متطوراً للمفهوم

التقليدي على وسائل الإعلام بما تنطوي عليه من نصوص ومضامين إعلامية، حيث لم يعد للمفهوم التقليدي حول محو الأمية أهمية تذكر في هذا الفضاء الرقمي الجديد. إذ لم يعد كافيًا اليوم أن يكون المرء قادرًا على قراءة النصوص المطبوعة فحسب، فالأفراد اليوم جميعهم من أطفال وشباب وشيوخ يحتاجون إلى القدرة على قراءة الصورة الإعلامية وتفسيرها بطريقة نقدية. وهنا يأتي دور التربية الإعلامية التي تقدم ثقافة جديدة تتجه إلى محو الأمية الإعلامية وتمكين الناشئة من القدرة على العيش في فضاء الثقافة الإعلامية في ميادين العمل والمدرسة ومختلف ضروب الحياة الاجتماعية في القرن الحادي والعشرين على نحو آمن. ويضاف إلى ذلك أن التربية الإعلامية تمتلك القدرة على تمكين الناشئة من احتواء الخبرات والمهارات الضرورية في مجال الحياة الرقمية التي تتدفق بعوامل التغير والسيرورة (Thoman et Tessa Jolls, 2004: 18).

ويمكن القول في سياق آخر إن محو الأمية الإعلامية أو التثقيف الإعلامي يعني عملية توسع في استخدام مفهوم محو الأمية التقليدي ليشمل الفضاء الإعلامي بما ينطوي عليه من آفاق اتصالية وإعلامية، ويضاف إلى ذلك أن هذا المفهوم يأخذ أبعاد أكثر عمقاً إذ يشمل مختلف المهارات التي تتصل بتحليل النصوص وقراءة الصورة وفك الشيفرات والكشف عن الأبعاد الخفية في النصوص الإعلامية وصولاً إلى تمكين المتعلم من المشاركة في عملية إنتاج النص الإعلامي وتشكيل الرسالة الإعلامية.

ولا يخفى على العارفين اليوم ما يتصف به النص الإعلامي الرقمي الحديث من تعقيد بالمقارنة مع النصوص التقليدية المطبوعة، فالنصوص الإعلامية الرقمية قد تشمل لغات عديدة متضافرة في الآن الواحد، كما قد تنطوي على عدة أشكال من الاتصال: كالاتصال عبر الصور البصرية الثابتة والمتحركة، والاتصال عبر الصوت كالموسيقا والكلمات والأحاديث الشفوية، عداك عن اللغة المكتوبة والمطبوعة بكل تفاصيلها التقليدية. وهنا تبدو وظيفة التربية الإعلامية، ويتجلى هدفها في تمكين التلامذة من المهارات العامة في تواصلهم مع الثقافة الإعلامية، وهذا الأمر لا يتوقف عند حدود القدرة على قراءة النص المكتوب بل يشمل مختلف الأنظمة الرمزية والصوتية والمهارات المشككة للصورة والصوت في آن واحد ضمن نسق معقد من الفعاليات والوظائف والمهارات (Divina Frau-Meigs, 2006, 22). ويرسخ هذا المفهوم الواسع لمحو الأمية الإعلامية القدرة على قراءة النصوص الإعلامية على نحو يتمكن فيه المتعلمون من استكناه الطاقة الرمزية في النص الإعلامي، فالمفهوم الجديد لمحو الأمية الإعلامية يشمل عملية تمكين الناشئة من القدرة على تفكيك الشيفرات الإعلامية، والكشف عن الأسرار التي تعتمل في أعماق الصورة ومقاطع الفيديو، كما أنه يهدف إلى صقل قدرة الفرد على تحليل الوسائط الإعلامية والبحث عنها وتصنيف المعلومات وفقاً لمختلف الوسائل والمنهجيات المتاحة. ويمكن للشخص الذي يتمتع بمستوى كافٍ من الثقافة الإعلامية اليوم أن "يفهم مزايا وعيوب وسلبيات وتحديات وأهداف كل نوع من أنواع الوسائل الإعلامية المتاحة" (Taylor et al., 2007, 19).

وغالباً ما يفهم من تعبير « نحو الأمية الإعلامية » بأنه القدرة على التواصل والتحليل والتقييم في الفضاء الإعلامي (Hobbs, 1996, p. 104). كما يرتبط هذا المفهوم غالباً بعملية التفكير النقدي لدى المتعلم وهذا يعني أن المتعلم لا يكتفي في هذه الحالة بالقدرة على قراءة النص الإعلامي الصوتي البصري، بل يشمل ذلك تمكين هذا المتعلم من التفكير المستبصر في شروط وعمليات إنتاج النص الإعلامي عينه وطرائق بثه واستقباله من قبل الجمهور الإعلامي، ومن ثم تمكينه من اتخاذ موقف موضوعي محدد إزاء الرسالة الإعلامية ضمن سياق نقدي مستقل.

فالحرية الإعلامية تعني تمكين المتعلمين من تعزيز قدرتهم على فهم الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في المجتمع وتمكينهم من الخبرات والمهارات الأساسية في مجال البحث والاستقصاء والتعبير الحرّ الضروري الذي يجب تأصيله لدى المواطن الحرّ في مجتمع ديمقراطي (Thoman et Jolls, 2004, p. 15). وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن مفهوم محو الأمية الإعلامية



يترجم إلى الفرنسية بطريقة خاطئة ربما بلفظة التربية الإعلامية (éducation aux médias) والترجمة الحرفية للفظلة الفرنسية هذه هي التربية على الإعلام حيث نقوم بترجمتها في اللغة العربية بالتربية الإعلامية. وينسب هذا الخطأ في الترجمة من الإنكليزية إلى الفرنسية إلى التوظيف المستخدم في المنظمات الدولية كمنظمة اليونيسكو التي دأبت على هذه الترجمة (Landry et Basque, 2015, 54).

وباختصار يمكن القول إن مفهوم التثقيف الإعلامي يستخدم اليوم بصورة مكافئة لمفهوم التربية الإعلامية. ونرى أن الفروق القائمة ما بين المفهومين محدودة جداً، وهناك تجانس كبير بين المفهومين في الدلالة والاستخدام.

## 6 - الطابع النقدي للتربية الإعلامية:

يقترح كل من بريان ل. اوت وروبرت ل. ماك (Brian L. Ott et Robert L. Mack (2010) تعريفاً لمفهوم التربية الإعلامية في وسائل الإعلام بناء على محورين أساسيين: يتمثل المحور الأول في تمكين المتعلم من فهم عملية الإنتاج الإعلامي لوسائل الاتصال، وهذا يشمل المؤسسات الإعلامية واللغات والرموز والاتفاقيات الخاصة بوسائل الإعلام المختلفة كما يشمل التوعية بعمليات الإنتاج الخاصة برسائل وسائل الإعلام؛ ويتمثل المحور الآخر بتمكين المتعلم من القدرة على امتلاك أدوات التفكير الناقد التي تسمح له بتحليل السياقات الإعلامية وفهم عمليات إنتاج الرسالة الإعلامية ونشرها واستقبالها في مختلف الوسائط الإعلامية. ويرى بعض الكتاب أن التربية الإعلامية تتميز بطابعها النقدي المقاوم، إذ تعمل على تمكين المتعلمين من تفكيك رمزيات النصوص الإعلامية والكشف عن الأساطير الزائفة التي تبثها وسائل الإعلام المسيطرة. ومن ثم العمل على إنشاء وسائل إعلام جديدة مناهضة لوسائل الإعلام السائدة، وهذا بدوره سيمكن المتعلمين من امتلاك حريتهم والانفلات من سيطرة استبداد الإعلام السائد وهيمنته، والكشف عن زيف الشفافية الإعلامية، والقدرة على تحديد الأهداف الأيديولوجية الكامنة في مضامين النصوص الإعلامية (Share, 2009. 28).

وهنا نجد أن المفهوم النقدي للتربية الإعلامية " يركز على قضايا مهمة جداً في الحياة الاجتماعية، من أهمها: النوع الاجتماعي، ولاسيما قضايا التمييز بين الجنسين، والطبقات الاجتماعية، والنزعات التعصبية العرقية والقومية، والجنسانية المرتبطة بوسائل الإعلام، ويهدف إلى تثقيف المتعلمين حول الأداء الأيديولوجي للسلطات القائمة والقوى التي تهيمن. ويرتبط هذا المفهوم بعملية نقد للأوضاع السياسية والاجتماعية القائمة وتعزيز المسارات الديمقراطية في عملية التغيير الاجتماعي، وهذا يعني أن هذا الاتجاه النقدي يسعى إلى توظيف التربية الإعلامية كوسيلة للنضال ضد الأنظمة الاجتماعية الاستبدادية، والتأسيس لمشروع تغيير اجتماعي ديمقراطي" (Kellner et Share, 2007, p.8-9).

دعونا الآن نستعرض تعريف سلفيربلات (Art Silverblatt) لمفهوم التربية الإعلامية، وهو أحد التعريفات النقدية التي فرضت نفسها بقوة في أدبيات الإعلام التربوي، يصف هذا التعريف التربية الإعلامية بأنها «مهارة في التفكير النقدي تمكن الجمهور الإعلامي من القدرة على إصدار الأحكام المستقلة حول المضمون الإعلامي». ويشمل هذا التعريف مجموعة من العناصر التحليلية التي تؤسس لفهم العملية الاتصالية برمتها ولاسيما الوعي بتأثير وسائل الإعلام الهائل في الفرد والمجتمع، والقدرة على تحليل ومناقشة المضامين الإعلامية للرسالة الإعلامية التي تتبدى في صورة نصوص أو خطابات متجذرة في سياقات ثقافية محددة، وكذلك القدرة على المشاركة في إنتاج رسائل إعلامية فعالة ومسؤولة.

ومع الأهمية الكبيرة التي حظي بها تعريف سلفيربلات (Art Silverblatt) فإن تعريفه هذا لم يستطع أن يصمد ويتكيف بصورة فعالة مع التغيرات التكنولوجية الحاصلة في العقد

الأخير من الزمن، ومع التقارب الكبير المتزايد بين وسائل الإعلام في العالم الرقمي. وهي مشكلة واجهها أيضاً جيمس بوتز الذي يرى بدوره أن مفهوم محو التربية الإعلامية يرتكز إلى مختلف التصورات التي نوظفها بفعالية في تعاملنا مع وسائط الإعلام وذلك من أجل فهمها وتفسير المضامين الدلالية للرسائل الإعلامية التي نواجهها، (James W. Potter, 2011:19). وقد أدى هذا التركيز الذي يعطى للإنتاج الإعلامي الضخم ونشر المعلومات إلى توليد إشكالي للعلاقة بين الميديا والجمهور، ويتجلى ذلك في تدهور الفوارق التقليدية بين المنتجين والمستهلكين للنصوص الإعلامية وذلك يحدث بمقدار التوسع في استخدام وسائل الإعلام وانتشارها بين مختلف الأفراد في المجتمع وكذلك اتساع العملية التي تجعل من عملية إنتاج النصوص الإعلامية وتوزيعها عملية ديمقراطية (Landry et Basque, 2015,54).

## 7 - التربية الإعلامية إزاء التكنولوجيا الرقمية:

يرفض كثير من الباحثين الفصل الحاد بين الإعلام السمعي البصري التقليدي والإعلام الرقمي الجديد. وتأسيساً على هذه الرؤية ترى سيلفير (Aviva Silver) أن مفهوم التربية الإعلامية يشمل «مختلف الوسائط الإعلامية بما فيها التلفزيون والسينما والراديو والأسطوانات الصوتية، والصحافة المكتوبة، والأترنت، ومختلف الوسائط التكنولوجية الرقمية الجديدة، (Aviva Silver. 2009:12).

وعلى الرغم من الاختلاف القائم حول مفهوم التربية الإعلامية، فإن هذا المفهوم غالباً مايشير إلى عدد من المهارات والكفاءات والمعارف التي يكتسبها المتعلمون في مجال الميديا والاتصال الإعلامي. وهذه المهارات والكفاءات تشكل بدورها الأهداف التي تدور حولها النشاطات والفعاليات التربوية في مجال التربية الإعلامية. فمفهوم التربية الإعلامية قد تطور في جوهر الأمر كردة فعل إزاء التأثير الذي مارسه وسائل الإعلام الجماهيري في بداية نشأتها. وكان الأمر في البداية يتحدد في تمكين المتعلمين من درء المخاطر التي تسببها وسائل الإعلام عبر إكسابهم مهارات تساعدهم في فهم الرسالة الإعلامية والتصدي لها. وبعبارة أخرى كان يراد لهذه المهارات المنشودة في البداية تمكين المتعلم من قراءة النصوص الإعلامية بطريقة نقدية، ومن ثم تطور الأمر لتقوم التربية الإعلامية في المراحل الأخيرة من تطورها بتأهيل المتعلمين للمشاركة في إنتاج النصوص الإعلامية والتفاعل معها على نحو إبداعي. ولم تكن المشاركة في الإنتاج الإعلامي تقف عند حدود تطوير الإمكانيات التعبيرية والفنية للمتعلمين بل كانت تتجاوز ذلك لتعمل على تنمية التفكير النقدي وتطويره في عملية الإنتاج الإعلامي نفسها.

ومع تطور التكنولوجيا الإعلامية، ولاسيما الرقمية منها، والتقارب الذي تحقق فيما بين وسائل الإعلام الرقمية والتقليدية في الفضاء الإعلامي، بدأت تلوح في الأفق قضايا وإشكاليات جديدة، وقد تطلب هذا التطور الجديد مهارات وكفاءات وخبرات جديدة بالنسبة للمتعلمين والجمهور الإعلامي على حدٍ سواء. لقد أحدثت التكنولوجيا الرقمية الجديدة مطالب جديدة ومستجدة في مجال التعامل مع النصوص الإعلامية، إذ بدأ التفاعل مع مختلف النصوص الإعلامي ينطلق من منصة واحدة هذه المرة وذلك كنتيجة طبيعية للتقارب والتكامل والاندماج المستمر فيما بين الوسائط الإعلامية المتعددة. ولم يعد اليوم كافياً تمكين المتعلم من القدرة على قراءة النص الإعلامي وفهمه، بل أصبح من الضرورة بمكان إتقان وفهم السياق العام الناجم عن تقارب وسائل الإعلام واندماجها في منصات إعلامية مشتركة (Jenkins, 2006). ويضاف إلى ذلك أن هذه التقنيات تتطلب اليوم مهارات متقدمة في البحث والقراءة الإعلامية ومعالجة المعلومات نقدياً، فضلاً عن القدرة على إنتاج محتوى الوسائط الإعلامية وتوزيعه في مختلف الصيغ والتنسيقات. وهذا جميعه يتطلب في نهاية الأمر العمل على تأسيس مفهوم جديد للتربية الإعلامية وفقاً للمعطيات الجديدة المتطورة التي فرضتها وسائل الإعلام الرقمية، ولاسيما تمكين المتعلم من القدرة على التفاعل الموضوعي العقلاني الذكي مع الشبكات الرقمية بطريقة نقدية

مسؤولة وأخلاقية، وذلك بما يتفق مع قيمه وهويته دون أن يتعارض ذلك وفي الآن الواحد مع قيم المجتمع وثقافته (Landry, N et Basque, J, 2015).

فالتفاعل والتواصل مع الشبكات الرقمية، كما هو واضح، يتطلب اليوم مهارات معرفية فائقة كالقدرة على التفكير النقدي، ومهارات التفكير المعقد، أو التفكير ما وراء المعرفي، وتحليل المضامين الإعلامية الاتصالية المعقدة، والقدرة على التفكير الشمولي الممنهج في القضايا الإشكالية الإعلامية، ويضاف إلى ذلك أيضاً القدرة على فهم البرمجيات والتطبيقات المتطورة دائماً. وهذه المهارات أصبحت اليوم ضرورية جداً في عالم يتدفق بالجدة الرقمية وتطوراتها التي تفوق حدود التخيل، فالمتعلمون اليوم يحتاجون بقوة إلى هذه المهارات الجديدة من أجل تجنب المخاطر الكبيرة في البيئة الرقمية وامتلاك القدرة على التكيف مع متطلبات الحياة المعقدة في فضاء رقمي الإلكتروني (Jenkins et al., 2009).

وتأسيساً على هذه التطورات الجديدة في عالم الميديا الرقمية، فإن التربية الإعلامية تجد نفسها اليوم مطالبة بتطوير أدائها التربوي في هذا الفضاء الرقمي الجديد، وقد ترتب عليها في هذا المسار تضمين المهارات الجديدة الفائقة، والمعارف النوعية المتطورة، في مناهجها والقيام بدمج مختلف أشكال التكنولوجيا الرقمية الجديدة في فعاليتها التربوية ضمن الفضاء الإعلامي الرقمي اللامتناهي. وهذا يقتضي منها أيضاً أن تعمل على تجاوز الصيغ التقليدية لفعاليتها التربوية والانتقال إلى مرحلة جديدة تتمثل في تمكين المتعلمين من التحليل النوعي المتقدم لوسائل الإعلام ومعالجة المعلومات وفقاً لأكثر المنهجيات العلمية تطوراً وتعقيداً، ضمن صيرورة تمكن المتعلمين من مواجهة مختلف القضايا الأخلاقية والسلوكية الجديدة التي تنشأ في الفضاء الرقمي الجديد. ومن البداهة بمكان أن هذا التطور الرقمي الهائل في وسائل الإعلام ووظائفها قد أدى إلى تطور كبير في المفاهيم المنبثقة عنه التي تغطيه وتعبر عنه، ولاسيما منظومة من المفاهيم الجديدة في مجال التربية الإعلامية التي تتميز بأنها تنافسية أحياناً وتكاملية أحياناً أخرى، والتي بدأت تفرض نفسها بقوة كبيرة في هذا فضاء التربية الإعلامية الجديدة. (Landry et Basque, 2015,56).

وضمن هذا المضمار، نلاحظ اليوم أن مفهوم التربية الإعلامية بدأ يتكيف مع التطورات الرقمية الجديدة ليغطي مختلف المجالات الجديدة، ونتيجة لذلك انبثقت عنه مفاهيم فرعية جديدة، من مثل: محو أمية الأنترنت، ومحو أمية الصورة، ومحو أمية التواصل الاجتماعية، ومحو أمية الحاسبات الذكية. وهذا يعني أن هذا التطور الجديد فرض مجالات متنوعة لكل منها خصوصية وأبجدية مختلفة، بعضها معقد وبعضها الآخر فائق التعقيد، وكل منها يتطلب مهارات ومعارف وخبرات خاصة به تناسب الصيغة والوظيفة التي يؤديها. ومما لا شك فيه أن هذا التطور قد أدى إلى تعقيد واضح في مفهوم التربية الإعلامية، ولذا أصبح من الصعوبة بمكان تحديد المهارات والكفاءات والخبرات التي يجب أن ترسخها لدى المتعلمين. فالمفهوم التقليدي كما لاحظنا سابقاً كان يقتصر على تزويد المتعلمين بمهارات قراءة النصوص الإعلامية وفهمها ونقدها والكشف عن مضامينها الأيديولوجية، ولكن العصر الرقمي الجديد يتطلب استحضار مهارات أخرى تتعلق بتحليل البيانات المتقدم وقراءة ما خلف السطور، وامتلاك مهارة التحليل ما بعد المعرفي، ومن ثم تمكين المتعلمين من مواجهة التحديات الأخلاقية والاجتماعية الجديدة التي فرضها هذا الإعلام الرقمي الجديد الذي يوجب على المتعلمين تملك معرفة عميقة وشاملة ببيئات الوسط الرقمي وفضاءاته الآخذة في التوسع بطريقة الانفجارات المستمرة. ويضاف إلى ذلك أن هذا التطور أثار قضية دمج المعطيات التي فرضها التطور التكنولوجي في مكونات مفهوم التربية الإعلامية، ومن المؤكد أن هذه القضية تحمل في طياتها كثيراً من الصعوبات التي تتمثل في الكيفيات التي يتم فيها تضمين المعطيات الجديدة في مفهوم التربية الإعلامية (Landry et Basque, 2015,56).

وعلى الرغم من هذه الصعوبات التي تطرحها تغيرات المفاهيم يمكن التمييز بين مفهوم التثقيف الإعلامي التقليدي الذي يركز على تنمية الوعي النقدي وتحليل النصوص الإعلامية المنتجة في وسائل الإعلام وتعريفها أيديولوجيا، وبين مفهوم التثقيف الرقمي الذي يركز عملياً على مهارات معرفية فائقة تتناسب مع تطور التكنولوجيا الرقمية الجديدة والتي تتطلب معرفة تقنية عالية جداً بالتكنولوجيا الرقمية الذكية، كما تتطلب القدرة على امتلاك مهارة البحث الإعلامي ومعالجة النصوص الإعلامية وفق مناهج جديدة ما فوق معرفية، وهذا يشمل تمكين المتعلمين أنفسهم من تنمية وعيهم الشخصي بالمخاطر الكبيرة والرهانات الأخلاقية للإعلام الرقمي الجديد.

#### 8 - المهارات والمعارف المطلوبة في الثقافة الرقمية:

يرتبط مفهوم التربية الإعلامية عملياً بتحصيل المهارات والمعارف الضرورية التي تفرض نفسها في مختلف أوجه التفاعل بين المتعلمين والميديا. وليس مفاجئاً اليوم أن عدداً من الباحثين والمربين يحاولون وبصورة مستمرة تحديد المهارات والخبرات والمعارف المطلوبة في مجال التربية الإعلامية وذلك من أجل الوصول إلى تعريف أمثل للتربية الإعلامية نفسها في الوسط المدرسي. ويبدو لنا أنه من الصعوبة بمكان حصر الكفاءات والخبرات والمعارف الضرورية التي يتوخاها الباحثون في مجال التربية الإعلامية، ومن المفيد هذا السياق الإشارة إلى الميثاق الأوروبي للتربية الإعلامية الذي اقترح سبعة من المهارات والخبرات الخاصة التي يمكنها أن تحدد المجال العملي للتربية الإعلامية. وتتمثل هذه المنظومة في سبع كفاءات أساسية (Landry et Basque, 2015, 56):

- 1 - الاستخدام الفعال للتكنولوجيا الإعلامية بفعالية، للوصول إلى المحتوى الإعلامي وتخزينه، والبحث فيه واسترداده، ومن ثم مشاركته مع الآخرين، وذلك من أجل تلبية احتياجات الفرد وتحقيق مصالح الجماعات.
- 2 - الوصول إلى مختلف وسائل الإعلام والاطلاع على مضامينها الثقافية وتحديد مصادرها المؤسسية.
- 3 - التعرف على الكيفية التي يتم فيها إنتاج المضمون الإعلامي ومعرفة الأسباب الكامنة وراءها: لماذا يتم إنتاج المحتوى الإعلامي، وما الكيفية التي يتم إنتاجه فيها؟
- 4 - التحليل النقدي للتقنيات واللغات والرموز المستخدمة والمضامين الكامنة في الإنتاج الإعلامي.
- 5 - استخدام وسائل الإعلام بطريقة إبداعية للتواصل المعلوماتي والتعبير عن الأفكار والآراء بحرية واستقلالية.
- 6 - التحقق من المضمون الإعلامي وتحليله، ومن ثم الكشف عن الغاية من توظيفه وعن الجوانب السلبية الضارة فيه والقائمة على تعزيز العدوانية والتسلط.
- 7 - استخدام وسائل الإعلام وتوظيفها في خدمة الحقوق الديمقراطية وتحقيق المواطنة للأفراد. (EuroMediaLiteracy, 2009).

ومن الواضح هنا أن التربية الإعلامية تشكل عملياً مشروعاً تربوياً يهدف إلى تأصيل مختلف المهارات والكفاءات والخبرات المطلوبة لدى المتعلمين لتمكينهم من التفاعل الخلاق مع وسائل الإعلام ومساعدتهم على تحقيق الأهداف المحددة التي يسعون إليها. وتعكس هذه الأهداف بدورها الغايات التي تحاول التربية الإعلامية إسنادها إلى التعليم الذي يتضمن مجموعة واسعة من المخاوف المتعلقة بوسائل الإعلام وتأثيرها في الأفراد. وبالتالي فإن هذه الأهداف تقدم رؤية

شمولية حول وسائل الإعلام وتؤسس في نهاية الأمر لصوغ جدول أعمال تربوي يتمركز حول العناصر التالية: (Landry et Basque, 2015,57).

1. تفكيك الرسائل الإعلامية وكشف النقاب عن عمليات الإنتاج والمخادعات الكامنة فيها.
2. تعلم اللغات الإعلامية والاتفاقيات المختلفة التي كل وسيلة من وسائل الإعلام.
3. وضع مختلف السمات النشطة والمعقدة لوسائل الإعلام في سياق يمكن الجمهور الإعلامي من تفسير المضامين الإعلامية بصورة صحيحة.
4. البرهنة على غياب الشفافية والحيادية في وسائل الإعلام ومضامينها الإعلامية ونقد الطابع الأيديولوجي للاتفاقيات التي تنظم عملها وتوجه مسارها.
5. النظر إلى وسائل الإعلام بوصفها عناصر فاعلة في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

ويمكن القول أن هذه العناصر الخمسة التي سقناها لا يمكنها أن تمثل الطيف العام الكلي للاهتمامات التربوية في مجال التربية الإعلامية التقليدية، وهي مع ذلك تشكل نقطة تقاطع بين مختلف التيارات والاتجاهات التربوية السائدة في مجال التربية الإعلامية (Landry et Basque, 2015,58).

#### 9 - خاتمة:

تأخذ التربية على الميديا صورة للتربية على المستقبل وتعبّر عنه، وكما يقول ألفين توفلر لم يعد يكفي الفرد أن يفهم الماضي، وحتى لم يعد كافياً له أن يفهم الحاضر، لأن بيئة الحاضر سرعان ما ستتلاشى، إنه يجب أن يتعلم كيف يتحسب اتجاه معدل التغيير ويتوقعه. إنه بحسب التعبير الفني، يجب أن يكرر من وضع الفرض الاحتمالية البعيدة المدى حول المستقبل، وهذا ما يجب معلمه أن يفعله (توفلر، ألفين، 1990، 424). وهذه المهمة برأينا تشكل المنطلق الحيوي للتربية الإعلامية في صيرورة زمنية يغيب فيها الماضي ويتلاشى فيها الحاضر كوقود للمستقبل.

وبالعودة إلى مختلف النظريات في مجال التربية الإعلامية - وهي نظريات تستمد نسج وجودها من علوم الاتصال والعلوم التربوية - يمكن للمربين تحديد الأهداف التربوية المناسبة التي تشكل بدورها منطلقاً لتطوير الفعاليات والأنشطة والممارسات التربوية العملية في هذا الميدان، كما يمكنهم تحقيق التوازن بين هذه الأهداف التربوية والأهداف السياسية والاجتماعية السائدة في المجتمع. وترتسم هذه الفعاليات في صميم الاتجاهات التربوية التي تقوم على أساس الممارسة الدينامية لعمليات النقد والتساؤل حول الميديا بصورة عامة في وسائلها ومضامينها. وتتضمن هذه الممارسات تمارين عملية في مجال تفكيك وتحليل الإنتاج الإعلامي بما ينطوي عليه من قيم وأفكار وتصورات عن العالم، بما يمكن تقديمه من تفسيرات للعلاقة القائمة بين الإعلام والجمهور الإعلامي فضلاً عن الجدل حول التأثير الذي يتركه الإعلام في الناشئة والأطفال. ويمكننا في ضوء ما تقدم أن نسجل ثلاث ملاحظات أساسية:

1. تتمثل التربية الإعلامية في مجموعة النشاطات والفعاليات والتعاليم والمهارات والكفاءات التي توظف في تثقيف المتعلم إعلامياً، وتنمية التفكير النقدي في مجال التواصل مع وسائل الإعلام المختلفة التقليدية والرقمية منها.
2. تركز التربية الإعلامية إلى نسق من المهارات والمعارف اللازمة لتمكين المتعلم من السيطرة على النصوص الإعلامية، وذلك ليكون قادراً في الوقت نفسه على فهمها وتجنبها، ويكون أيضاً قادراً على تفكيك مضامينها وتحليل رمزياتها، والكشف عن

الخفي والمضمر في طياتها، ومن ثم فك الشيفرة التي تحكمها، ووضع هذا النصوص بعد تحليلها في سياقات الإنتاج والبلث والاستقبال. وينبغي أيضاً لهذه التربية أن تجعل المتعلم قادراً على التعبير عن ذاته وتزويد نفسه بالمعلومات بصورة مستمرة عن طريق التعبئة الملائمة والفعالة للتكنولوجيات الإعلامية.

3. لا بد من الاعتراف أيضاً بأن هذه المعارف والخبرات البنيوية في مجال التربية الإعلامية ستبقى موضوعاً للجدل والحوار والمناقشة من قبل مختلف التيارات والاتجاهات التربوية في مجال التربية الإعلامية، وستكون أيضاً عرضة للنقد عبر مختلف الرؤى والتصورات والرهانات المرتبطة بالأهداف التربوية والاجتماعية والسياسية التي تسعى التربية الإعلامية إلى تحقيقها.

لقد بات واضحاً أن التربية الإعلامية لا تعمل على تحقيق الأهداف التربوية فحسب، بل تعمل في الوقت ذاته على تحقيق الغايات الاجتماعية والسياسية أيضاً. فالتربية الإعلامية تطرح إشكالية الديمقراطية في المجتمع إذ يراد لها أن تؤدي دورها في ترسيخ القيم الديمقراطية في المجتمع بصورة مضمرة حيناً وصريحة حيناً آخر. فالتربية الإعلامية بصورتها النقدية معنية بترسيخ الديمقراطية في مجتمع ديمقراطي ضمن مشروع رؤية تربوية اجتماعية، وهو مشروع يؤسس لعملية بناء جيل من المواطنين الأحرار الذين يتميزون بدرجة عالية من الثقافة والتعليم والقدرة على التفكير النقدي في الفضاء الإعلامي. ومثل هذا الوعي الإعلامي يشكل منطلقاً حقيقياً لتعزيز القيم الديمقراطية في المجتمع وترسيخ الممارسة الديمقراطية في مختلف تعيناتها، كما يشكل منطلقاً لتقليص حدة الفوارق الاجتماعية، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص والمساواة، ورفض كل أشكال الظلم والاستبداد الاجتماعي والسياسي (Landry et Basque, 2015,59).

ويتربط على هذا المشروع التربوي أن يحدث نوعاً من التغيير في عادات الاستهلاك الإعلامي، وعملية إنتاج المعلومات، وأن يولد التقارب بين مختلف المنصات الإعلامية الرقمية، وأن يؤثر في مختلف العمليات والتحويلات الحادثة في الفضاء الإعلامي. ويتضح اليوم عبر الدراسات والأبحاث الجارية في هذا الميدان أن التربية الإعلامية تمر اليوم في طور انتقالي وذلك بالتوازي مع التحويلات والتغيرات الحادثة في قطاع التكنولوجيا والمؤسسات الإعلامية، وهنا تكمن فرصة الباحثين والدارسين في العمل على تطوير نظريات تربوية إعلامية تعكس هذه التحويلات وتحتويها ضمن سياق تربوي جديد في مجال التربية الإعلامية، كما تشكل فرصة جديدة لتطوير وتنمية التفكير النقدي والمهارات الضرورية التي تساعد في عملية التحكم بالوسائط الرقمية، وهذا بدوره يشكل منصة للعمل على ترسيخ أخلاقيات السلوك الإعلامي لدى المتعلمين وتأسيس المعرفة الضرورية للممارسة الإعلامية في مختلف مستوياتها (Landry et Basque, 2015,60).

ويتوجب في هذا المقام القول بأن التربية الإعلامية لا يمكنها أن تقع خارج سياق الفحص النقدي لشروط وجودها. وهذا يتطلب العمل على اختبار مناهجها وطرائقها وإستراتيجياتها بصورة مستمرة وهذا يشمل أيضاً المبادئ التي تقوم عليها والممارسات التربوية العملية التي تباشرها في مجال الحياة المدرسية. ويمكن لنا أن نسرده مجموعة من العوامل المهمة والأساسية التي تشكل موضوعات هامة للدراسة والتقصي أمام الباحثين في مجال التربية الإعلامية، أهمها: الاعتراف الرسمي أو غير الرسمي للمؤسسات العامة بالتربية الإعلامية بوصفها حقلاً تربوياً مستقلاً ومتميزاً، المكانة التي تعطى للتربية الإعلامية في المنهاج المدرسي، عملية إعداد وتأهيل المعلمين في مجالات التربية الإعلامية، الدعم الممنوح للمعلمين والمساندة التي يحصلون عليها لتحقيق الأهداف المطلوبة من التربية الإعلامية، التقويم التربوي للمعلمين وللنشاطات الجارية في مجال التربية الإعلامية.

فالتربية الإعلامية تمرّ اليوم في مرحلة انتقالية صعبة وهذه المرحلة تطرح نوعاً من التحديات البنيوية في مستوى التطور الفكري النظري، كما في مستوى التطبيقات التربوية. وقد

تمت مناقشة كثير من هذه القضايا وعلى نطاق واسع في الأدبيات التربوية والإعلامية. وشكلت هذه المرحلة مهاداً لولادة عدد كبير من المفاهيم والمصطلحات الإعلامية والتربوية المتنافسة في حقل التربية الإعلامية، وهذا أيضاً يعكس حجم الصعوبات والتحديات التي يواجهها حقل التربية الإعلامية في مجال تحديد المهارات والمعارف النظرية اللازمة لتحديدها والتعريف بهويتها العلمية في مختلف البلدان. ويمكن لنا في هذا السياق الإشارة إلى ثلاث أولويات في مناهج البحث للتربية الإعلامية:

1. العمل على توليد إطار نظري أكثر تطوراً ووضوحاً وأكثر قدرة على مجاراة التغير الهائل في وسائل الإعلام، ولاسيما هذه التي تأخذ طابعاً بنوياً مؤثراً في الصناعة الإعلامية، والتي يمكنها أن تعمل على إعادة تحديد دور الفرد كعامل نشط في استهلاكه وإنتاجه للنصوص الإعلامية.

2. الدراسة والتحليل النقدي للسياسات التعليمية التي تعتمدها الدول في مجال التربية الإعلامية.

3. تحليل مستويات التعليم في المدارس والفصول الدراسية المتعلقة بالتربية الإعلامية وذلك في ضوء الأولويتين السابقتين. ويبدو لنا أن هذه الأولويات أكثر أهمية من القضايا المتعلقة بأولويات الإنتاج والاستهلاك الإعلامي للطلاب والمتعلمين حيث تشكل في مجموعها قضية إشكالية تؤثر على نحو شامل في مختلف جوانب النظام التعليمي برمته.

ويمكن القول في هذه الخلاصة إن التربية الإعلامية تواجه تحديات أخرى تتميز بطابع الخصوصية ولاسيما ما يتعلق منها بعلوم الاتصال، وتتمثل هذه التحديات في التغيرات السريعة في هذا الحقل العلمي وبخاصة التغيرات التكنولوجية، كما يتعلق الأمر هنا بالرهانات السياسية والاجتماعية في مجال الإعلام والاتصال، وهذا كله يتطلب نوعاً من التحديث والتطوير المستمر للمعرفة تحت تأثير التقادم المستمر والمتسارع للمصادر والموارد التي تساعد على بث المعرفة وانتشارها؛ كما يتطلب الأمر ضرورة قيام المربين والمعلمين بتطوير الخبرات والمعارف حول مجموعة واسعة من القضايا المتعلقة بالتربية.

إن تكنولوجيا الغد، كما يقول آلفين توفلر، «لا تتطلب ملايين الرجال السطحيي التعليم المستعدين للعمل المتساق في أعمال لا نهائية التكرار، ولا تتطلب رجالاً يتلقون الأوامر دون طرفة عين، مقدرين أن ثمن الخبز هو الخضوع الآلي للسلطة، ولكن تتطلب رجالاً قادرين على إصدار أحكام حاسمة، رجالاً يستطيعون أن يشقوا طريقهم وسط البيئات الجديدة، ويستطيعون أن يحددوا موقع العلاقات الجديدة في الواقع السريع التغير. إنها تتطلب رجالاً من ذلك النوع الذي وصفه س.ب. سنو بأنهم «يحملون المستقبل في عظامهم» (توفلر، آلفين، 1990، 432). وتأسيساً على ذلك نقول إن التربية الإعلامية تشكل اليوم المنصة الحقيقية التي يمكن للمجتمعات الإنسانية أن تنطلق منها في بناء الإنسان المدجج بوعي المستقبل والقادر على مواجهة تحديات التكنولوجيا الرقمية.

#### مراجع الدراسة: Références

- Chomsky, N. (2012). Pour une éducation humaniste. Paris, France: Éditions de L'Herne.
- Conseil de l'Europe. (1989, octobre). Résolution sur la Société de l'information: un défi pour les politiques de l'éducation ? (no 1). Présenté à la Conférence permanente des ministres de l'Éducation du Conseil de l'Europe, Istanbul, Turquie.
- EuroMediaLiteracy (2009). Charte européenne pour l'éducation aux médias. Repéré à <http://www.euromedialiteracy.eu/charter.php?id=1>
- Frau-Meigs, D. (2006). L'éducation aux médias. Un kit à l'intention des enseignants, des élèves,

des parents et des professionnels. Paris, France: UNESCO. Repéré à <http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001492/149278f.pdf>

Gonnet, J. (2001). *Éducation aux médias: les controverses fécondes*. Paris, France: Hachette.

Hartley, J. (2010). *The Uses of Digital Literacy*. New Brunswick, NJ: Transaction Publishers.

Hobbs, R. (1996). *Teaching Media Literacy. Yo ! Are you hip to this ?*. Dans E. E. Dennis et E. C. Pease, *Children and the media* (p. 103-111), New Brunswick, NJ: Transaction Publishers.

Hobbs, R. (2011). *The State of Media Literacy: A Response to Potter*. *Journal of Broadcasting & Electronic Media*, 55(3), 419-430.

Jenkins, H. (2006). *Convergence Culture: Where Old and New Media Collide*. New York, NY: New York University Press.

Jenkins, H. et al. (2009). *Confronting the Challenges of Participatory Culture: Media Education for the 21st Century*. Cambridge, MA: MIT Press.

Kellner, D. et Share, J. (2007). *Critical Media Literacy, Democracy, and the Reconstruction of Education*. Dans D. Macedo et S. R. Steinberg. (dir.), *Media Literacy: A Reader* (p. 3-23). New York, NY: Peter Lang.

Macdonald, M. F. (2008). *Media Literacy in Action: An Exploration of Teaching and Using Media Literacy Constructs in Daily Classroom Practice* (Thèse de doctorat). University of California, États-Unis.

Silver, A. (2009). *Forewords. A European Approach to Media Literacy: Moving Toward an Inclusive Knowledge Society*. Dans D. Frau-Meigs et J. Torrent (dir.), *Mapping Media Education Policies in the World: Visions, Programmes, and Challenges* (p. 11-13). New York, NY: The United Nations-Alliance of Civilizations & Grupo Comunicar.

Silverblatt, A. (2001). *Media Literacy: Keys to Interpreting Media Messages*. Westport, CT: Praeger.

Taylor, T. et al. (2007). *100% Information Literacy Success*. Clifton Park, NY: Thomson Delmar Learning.

Thoman, E. et Jolls, T. (2004). *Media Literacy: A National Priority for a Changing World*. *American Behavioral Scientist*, 48(1), 18-29.

Landry, N et Basque, J (2015). *Media Literacy, Contributions, Practices and Research Perspectives in Communication*, *Revue de communication sociale et publique*, N. 15.

Potter, W. J. (2011). *Media Literacy*. Los Angeles, CA: Sage Publications.

العبد الكريم، راشد بن حسين (2007). *المناهج الدراسية وتنمية ملكات النقد لوسائل الإعلام، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر التربية الإعلامية، المنعقد في الرياض عام 2007*. ص3.

توفلر، ألفين (1990) *صدمة المستقبل، المتغيرات في عالم الغد، ترجمة محمد علي ناصف، القاهرة: نهضة مصر.*